الأسماء الحسنى التي تعود إلى صفات الأفعال

مقدمة

بعد أن ذكرنا مجموعة الأسماء الحسنى التي تدخل في باب علاقة المكلّفين بخالقهم، نذكر الصنف السابع من مجموعة الأسماء التي تعود إلى صفات الأفعال، وهو ما يدخل في باب أن جميع ما يجري من متناقضات وأضداد ومختلفات في جميع الخلائق، هو من أفعال الخالق سبحانه بقضائه وقدره.

إذا لاحظنا جميع ما يُصيبُ الناسَ من خَفْضٍ أو رَفْعٍ، وعَزٍّ أو ذُلٍّ، وتقديم أوْ تأخيرٍ، وجَمْعٍ أوْ مَنْعٍ، وضُرٍّ أو نَفْعٍ، رأينا بوضوح أنه مِنَ اللَّهِ تعالى وبقضائه وقدره، ومن هنا جاء في المأثور مِن أسماء اللَّهِ الحسنى: (الخافض الرافعُ، المُعِزّ المُذِلُّ، المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ، الجامِعُ المانِعُ، النافِعُ الضارُّ)، وفيما يلي شرحُ هٰذه الأسماء.

54 ــ الخافض

اسم فاعل مأخوذٌ من الخَفْضِ، وهو الإهانَةُ وتنزيلُ المكانَةِ، فما يُصيبُ الإنسانَ من انحِطاط وسُقوط في درجته بين الناس، فمِنَ اللَّهِ جلَّ وعَلا؛ فهو سُبْحَانَه الذي يَخْفِضُ أهلَ الكُفْرِ والمعاصي، بما يَنالُهم مِن شَقاء، بسبب كُفْرهم ومعاصيهم. ولم يَرِدْ هٰذا الاسم في القرآن الكريم، ولكنه ورد في حديث أبي هريرة الجامع لأسماء الله الحسنى الذي أخرجه الترمذي والبيهقي، وهو مُجمعٌ عليه.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي في «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحُسْنَى»: (الخافِضُ الرافِعُ هو الذي يَخفِضُ الكفار بالإشقاء، ويرفع

المؤمنين بالإسعاد يرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد، ومَن يرفَعْ مشاهَدَتَهُ عن المَحْسُوسات والمتخيّلات، وإرادتَه من ذَميم الشهوات، فقد رَفَعَهُ إلى أفق الملائكة المُقَرَّبين، ومَن قَصَرَ مشاهَدَته على المحسوسات، وهَمَّتَهُ على ما يُشاركُهُ فيه البهائِمُ مِنَ الشهوات، فقد خَفَضَهُ إلى أسْفَلِ السافِلينَ، ولا يَفْعَلُ ذلك إلّا الله تعالى، فهو الخافِضُ الرافع.

حَظُّ العَبْدِ من ذلك أن يرفَعَ الحقَّ، ويَخفِضَ الباطِلَ، وذلك بأن يَنْصُرَ المُحِقَّ ويَزجُرَ المُبطِلَ، فيُعادِي أعداءَ اللّهِ لِيَخْفِضَهُم، ويُوالي أولياءَ اللّهِ ليَرْفَعَهم).

ويقول الإمام اللغوي المحدّث أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (الخافِضُ في أسماءِ اللّهِ تعالى هو الذي يَخفِضُ الجَبَّارِينَ والفَراعِنَةَ ـ أي يَضَعُهُمْ ويُهينُهُم ـ ويَخْفِضُ كلَّ شيء يُريدُ خَفْضَهُ، والخَفْضُ ضِدُّ الرَّفْعِ.

ومنه الحديث الذي أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»، عن أبي موسى الأشعري، قال: قام فينا رسولُ اللّهِ ﷺ بخمس كلمات، فقالَ: «**إنَّ اللّهَ ﷻ لا ينامُ ولا ينبغي له أن ينامَ، يَخفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إليه عَمَلُ الليل قَبْلَ عَمَلِ النهار، وعَمَلُ النهارِ قَبْلَ عَمَلِ الليل، حجابُهُ النورُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ**». ومعنى قوله: «**لاَ ينامُ ولا ينبغي له أنْ يَنامَ**» فمعناه: أنه سُبحانه وتعالى لا ينامُ وأنه يَستحيلُ في حَقِّه النومُ؛ فإنَّ النومَ انْغِمارٌ وغَلَبَةٌ على العَقْلِ، يَسْقُطُ به الإحساسُ، واللّهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك، وهو مُسْتَحِيلٌ في حَقِّهِ جل وعلا، وأما قولهُ: «**يَخفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ**». قال ابن قتيبة: القِسْطُ: الميزانُ، وسُمِّيَ قِسْطاً؛ لأنَّ القِسْطَ العَدْلُ، وبالميزان يَقَعُ العَدْلُ، قالَ: والمُرادُ أنّ اللّهَ تعالى يَخْفِضُ المِيزانَ ويرفَعُهُ بما يُوزنُ مِن أعمالِ العِبادِ المرتفعةِ، ويوزِنُ مِن أرزاقِهِم النازِلَةِ، وهذا تمثيل لما يُقَدِّرُ تنزيله، فَشُبِّهَ بِوَزْنِ الميزان. وقيل: المُراد بالقِسطِ: الرزقُ، الذي هو قِسْطُ كلِّ مخلوق، يَخْفِضُهُ فَيَقْتُرُه، ويَرْفَعُه فيُوسِعُه، واللّهُ أعلم.

أثر هذا الاسم على العبد

إنَّ مَن عَلِمَ أنَّ اللّهَ هو الخافِضُ، الذي يُذِلُّ أهلَ الكُفْرِ والعِصْيانِ، يَخْشَى

من سَطْوَته وبَطْشِهِ وجبروته، ويخضعُ لِعزّته وكبريائه، ويُعلنُ له الطاعَة والخضوعَ، ولا يَتَكَبَّرُ على طَاعَتِهِ، ولا يُعانِده، ولا يَعْلُو في الأرض استعلاء المتكبّرين المفسدين المتألّهين، كما كان شأنُ فرعونَ والنُمْروذِ، وأضرابهما، الذين كانت نهايَتُهم الخَفْضَ والذُلَّ والانتقام.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: 4]، وقد بلغ مِن اسْتِعْلائِهِ أنه ادَّعى الأُلوهيَّة فَأَخَذَهُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: 38 ـ 40].

أما المَلِكُ والحاكم المُؤْمِنُ فإنَّهُ يُقِيمُ مَوازينَه في الناسِ على أساسِ الإيمان والتقوى، والعمل الصالح، فيرفع المؤمنين ويُدنيهم ويُقرّبهم ويتخذهم بطانة صالحة، ويُبعد الفاسدين الأشرار، ويقمعهم ويعاقبهم ويخفضهم وقد قصّ اللَّهُ لنا في القرآن قصةَ ذي القَرْنَيْن، وهو مَلِكٌ مؤمن عادِل قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 83 ـ 88].

معناه

اسم فاعل مأخوذٌ مِنَ الرفع، وهو الإكرامُ وإعْلاءُ المكانَةِ، وما يَصِلُ الإنسانُ إلى مَكانَةٍ رفيعة بَيْنَ الناسِ إلّا بِرَفْعٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ، فهو الذي يَرْفَعُ أَهْلَ

الإيمانِ والطاعَةِ، بما يُصيبُونَه مِنْ سَعَادَةٍ، بِسَبَبِ إيمانهم وطاعاتِهم.

وفي معنى أنه الرافع قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: 83].

ولم يَرِد هٰذا الاسم في القرآن الكريم، بهذه الصيغة، وإنما جاء في الحديث الشريف الجامع لأسماء اللَّهِ الحسنى الذي رواه أبو هريرة ﷺ، وأخرجه الإمامان الترمذي والبيهقي، كما أنه مُجْمَعٌ عليه بين العُلماء.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حجَّةُ الإسلام، وفيلسوفه الإمام المتكلِّم الفقيه الأصولي أبو حامد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (هو الذي يرفَعُ المؤمنين بالإسْعادِ، يرفَعُ أولياءَه بالتقريب، ومَن يَرْفَع مُشاهدته عن المحسوسات والمُتَخَيَّلات، وإرادَتُه مِن ذميم الشهوات، فقد رَفَعَه إلى أُفُقِ لمَلائِكَة المُقَرَّبينَ، ولا يَفْعَلُ ذلك إلا اللَّهُ تعالى، فهو الرافِعُ.

حَظُّ العبد مِن ذلك أنْ يَرْفَعَ الحَقَّ، وذلك بأن ينصُرَ المُحِقَّ ويَزْجُرَ المُبْطِلَ، فيُعادِي أعداءَ اللَّهِ لِيَخْفِضَهُم، ويُوالِي أَوْلياءَ اللَّهِ لِيَرْفَعَهُم).

وقال الإمام اللغوي المحدِّث مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (الرافِعُ في أسماء اللَّهِ تعالى هو الذي يَرْفَعُ المُؤمنين بالإسْعادِ، وأولياءَه بالتَّقْريبِ، وهو ضِدُّ الخَفْضِ).

أقوال المفسّرين

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: 165].

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾، أي: جَعلكم تَعْمُرُونَها

جيلاً بعد جيل، وقَرْناً بعد قَرْن، وخَلفاً بعد سَلَف؛ قاله ابن زيْد وغيرُه من المفسّرين، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزخرف: 60]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: 62]، وقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30 وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129]. وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾، أي فاوَتَ بَيْنكم في الأرزاق، والأخلاق، والمحاسِنِ والمَساوِي، والمَناظِرِ، والأشكالِ، والألوان، وله الحكمةُ في ذلك، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32]، وقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: 21].

وقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، أي: ليَخْتَبِرَكُم في الذي أنْعَمَ به عليكم وامتَحَنَكُم به ليَخْتَبِرَ الغنيَّ في غِناهُ، ويَسْأَلَهُ عن شُكْرِهِ، والفَقِيرَ في فَقْرِهِ ويَسْأَلَهُ عَنْ صَبْرِهِ. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمامُ مسلمٌ في كتاب الذكر مِن «صحيحه»، عن أبي سعيدٍ الخُدريّ ﷺ: «**إنَّ الدُنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدنيا واتَّقُوا النسَاءَ، فإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كانَت في النساءِ**»، قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: معنى قوله: «**إن الدُنيا حُلوَةٌ خَضِرَة**»، يُحْتَمَلُ أن يُرادَ به شيئان:

(**أحَدُهما**): حُسْنُها للنفوسِ ونَضارَتُها ولَذَّتُها، كالفاكهة الخَضراءِ الحُلْوَةِ، فإنَّ النفوسَ تَطْلُبُها طلباً حثيثاً، فكذا الدُنيا.

(**والثاني**): سُرْعَةُ فنائها، كالشيء الأخْضَر في هٰذين الوَجْهَيْن، ومعنى قوله: «**إنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها**»، أي: جاعِلُكم خُلَفاءَ مِنَ القُرونِ الذينَ قَبْلَكُم، فَيَنْظُرُ، هل تَعْملونَ بِطاعَتِهِ أم بمعصِيَتِهِ وشَهَواتِكُم، ومعنى قوله: «**فاتَّقُوا الدُنيا واتَّقُوا النساء**»، أي: اجتنِبُوا الافتتان بها بأن تتعلَّقوا بمتاعِ الحياةِ الدنيا فتنشغلوا بها عن عبادَةِ ربِّكم بالكلّيةِ فتصرِفُوا حياتكم كلَّها في جمع الأموال، والاستمتاع بالشهواتِ والملذاتِ من نساءٍ ومآكل ومشاربَ وسِياحات وسهرات، وبيّن ﷺ بأن أكثرَ الفتنِ فتنةُ النساء لدوامها وابتلاءِ أكثرِ الناسِ بها؛ لأنهن يأخُذْن بلُبّ الرجل

الحليم العاقل، وقد يَحْمِلُنَهُ على معاصي اللَّهِ فَيَهْلَكَ في الدنيا والآخرة، وقد بَيَّن ﷺ لأُمَّتِهِ أن أوَّلَ فِتْنَةِ بني إسرائيل كانت في النساء فأهلكتهم وارتكبوا بسببها الفواحِشَ والمعاصي والمُوبقاتِ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، تَرهيبٌ وترغيبٌ أنَّ حِسابَهُ وعِقابَهُ سَريعٌ فِيمن عَصاهُ وخالَفَ رُسُلَه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لِمَنْ والاه واتَّبَع رُسُلَه فيما جاءوا به من تشريع فيه الخير والهُدَى والنور.

فاللَّهُ سبحانه هو الخافِضُ الرافِعُ، يَرْفَعُ عِبادَهُ المؤمِنين ويُعزُّهم بِدِينِهِ، ويَخْفِضُ أهل الكفر والمَعاصي ويُذِلُّهم في الدنيا والآخرة، فَمَن طلبَ العِزَّ والرِفْعَة في غير طريق الإيمان والطاعَةِ فقد أخطأ الطريق، ولن يَجِدَ إلّا الذُّل والصغار.

56 ــ المُعِزُّ

معناه

اسم فاعِل من الإعزاز، وهو إعلاء الشأن والتقوية، فما مِن عِزّ يناله الإنسانُ إلّا بإعزازِ اللَّهِ لهُ، وفي معنى أنه المُعِزّ قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: 26]، وأعلى أنواعِ العِزّ: عِزُّ الطاعَةِ والقُربُ منَ اللَّهِ.

ولم يَرِدْ هٰذا الاسم في القرآن الكريم بهٰذه الصيغة، وإنما وَرَدَ في الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى الذي أخرجه الإمامان الترمذي والبيهقي، عن أبي هريرة ﷺ.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (المُعِزّ هو الذي يُؤْتِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، والمُلكُ الحقيقي في الخلاصِ عن ذُلّ الحاجة وقَهْرِ الشَهْوَةِ، وعَيْبِ الجَهْلِ، فَمَنْ رَفَعَ الحجابَ عن قَلْبِهِ حتى

شاهَدَ جمالَ حَضْرَتِهِ، وَرَزَقَهُ القَنَاعَةَ التي استغنى بها عن خَلْقِهِ، وأَمَدَّهُ بالقُوَّةِ والتأييد حتى استولى بها على صفات نفسه، فقد أعزَّهُ اللَّهُ وآتاهُ الملكَ عاجلاً، وسَيُعِزُّهُ في الآخِرَةِ بالتقرُّب ويُنادِيهِ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر: 27 ـ 29]، وذلك صنعُ الله تعالى كما يشاءُ حيثُ شاء فهوَ المُعِزّ يُعِزّ من يشاء، وكلُّ عَبْدٍ اسْتُعْمِلَ في تيسير أسباب العِزّ على يدهِ ولسانِهِ فهو ذو حَظٍّ من هٰذا الاسم) انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (المُعِزّ في أسماء اللَّهِ تعالى هو الذي يَهَبُ العِزَّ لمن يَشَاءُ من عبادِهِ، والعِزَّةُ في الأصل: القُوَّةُ والشِدَّة والغَلَبَة، تقولُ: عَزَّ يَعِزُّ ـ بالكسر ـ إذا صارَ عزيزاً وعزَّ يَعَزُّ ـ بالفتح ـ إذا اشتدّ.

ومنه الحديث الذي أخرجه ابن عساكر في تاريخه، عن إعادة بناء الكعبة في الجاهلية بعد أن هدمها السيل أنه ﷺ قال لعائشة أم المؤمنين ﷺ «**هل تدرين لم كان قومُك رفَعُوا باب الكَعْبَةِ؟**»، قالت: لاَ، قال: «**تَعَزُّزاً أنْ لا يَدْخُلَها إلاَّ من أرادُوا**»، أي: تكبرُّاً وتَشَدُّداً على الناسِ.

أقوال المفسّرين

يقول الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: 138 ـ 140].

يعني أن المنافقين وهم الذين آمنوا ثم كفروا فطبَعَ اللَّهُ على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾، بمعنى: أنهم معهم في الحقيقة يُوَالونَهُم، ويُسِرُّونَ إليهم بالمَوَدَّةِ، ويقولون لهم إذا خَلَوْا بهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: 14]، أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم المُوافَقَةَ، فقال اللَّهُ تعالى مُنْكراً عليهم فيما سَلَكُوهُ مِنَ مُوالاةِ الكافرينَ: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ

ٱلْعِزَّةَ﴾، ثم أخبر تعالى بأنَّ العِزّةَ كُلَّها له وَحْدَهُ لا شريكَ له، ولِمنْ جَعَلها اللَّهُ له، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، والمقصودُ مِن هٰذا التَهْيِيجُ على طلبِ العِزّةِ من جَنابِ اللَّهِ، والإقْبالُ على عُبُودِيَّتِهِ، والانتِظامُ في جُملةِ عبادِهِ المؤمنين الذين لَهُمُ النُصْرَة في هٰذه ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: 51].

وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، أي: إنكم إذا ارتكَبْتُمُ النَهْيَ بَعْدَ وُصولِهِ إليكم، ورَضيتُم بالجُلوسِ مَعَهُم في المكان الذي يُكفَرُ فيه بآياتِ اللَّهِ، ويُسْتَهْزَأُ ويُنْتَقَصُ بها، وأَقْرَرْتُمُوهُم على ذلك فَقَدْ شارَكْتُمُوهُم في الذي هم فيه، فلهٰذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في المَأْثَمِ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي في «جامعه»: «**مَن كان يؤمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ فلا يَجْلِسْ على مائِدَةٍ يُدارُ عَليها الخَمْرُ**»، والذي أُحِيلَ عليه في هذه الآية مِن النَهْيِ في ذلك هو قولُه تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: 68].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140]، أي: كما أشركوهم في الكفر كذلك يشاركُ الله بينهُم في الخلود في نار جهنَّم أبداً، ويجمَعُ بينهم في دارِ العُقوبَةِ والنَكالِ والقُيُودِ والأغلالِ وشراب الحَميمِ والغسلين.

وهٰذا حالُ كثير من المسلمين اليوم، فإنهم تركوا دينهم، ولَحِقُوا بأعداء الإسلام من اليَهودَ والنصارى والعلمانيين، وانتسبوا لمَحافِلِهم المحلّيّة والدوليّة، وجمعياتهم وأحزابهم، يبتغون عندهم العِزّ، والجاه، والمناصِب، والأموال، والمراكز، وقدّموا لهم الولاء والطاعة، وناصَبُوا أهلَ دِينهم العَداوةَ والبَغْضاءَ والشحناءَ، فهٰؤلاء في خطرٍ عظيم إن لم يرجعوا إلى ربّهم، ويتوبوا إليه قبل فواتِ الأوان، قبل أن يأتيَ أحدَهم الموتُ، فيقولَ: ربِّ ارجعونِ لعلّي أعْمَلُ صالحاً فيما تركتُ، كلّا إنها كلمةٌ هو قائلها، لقد جَهلَ هٰؤلاء أن العِزَّةَ للَّهِ ورسولِهِ

وللمؤمنين، فطلبوها عند أعداء اللَّهِ ولن ينالوا إلّا الخيبة والخُسْرَان في الدنيا والآخرة، واللَّهُ غالب على أمرِهِ ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

57 ــ المُذِلُّ

معناه

اسمُ فاعِلٍ من الإذْلالِ، وهو إسقاطُ الشَّأْنِ والإهانةُ والإضْعَافُ، فما مِنْ ذُلٍّ يَنْحَدِرُ إليه الإنسانُ إلّا بإذْلالِ اللَّهِ له.

وفي معنى أنه المُعِزُّ والمُذِلُّ قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: 26]، وشَرُّ أنواعِ الذُّلِّ: ذُلُّ المَعْصِيَةِ والبُعْدِ عن اللَّهِ ﷻ.

أقوال العلماء في تفسيره

قال الإمام حُجَّةُ الإسلام وفيلسوفه أبو حامد الغزالي الشافعي في كتابه «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (المُذِلُّ هو الذي يَسْلُبُ المُلكَ مِمَّن يَشاء، والمُلكُ الحقيقيُّ في الخلاصِ عن ذُلِّ الحاجَةِ، وقَهْرِ الشَّهْوَةِ وعَيْبِ الجَهْلِ.

ومَن مَدَّ عَيْنَهُ إلى الخَلْقِ حتى احْتَاجَ إليهم، وتسَلَّطَ عليه الحِرْصُ حتى لم يَقْنَعْ بالكِفايَةِ، واسْتَدْرَجَهُ بِمَكْرِهِ حتى اغْتَرَّ بنفسه وبَقِيَ في ظُلمَةِ الجَهْلِ فَقَدْ أذَلَّهُ وسَلَبَهُ، وذلك صُنْعُ اللَّهِ تعالى كما يَشاءُ حيثُ يَشاءُ، فهو المُعِزُّ المُذِلُّ يعزّ مَن يشاء ويذِلُّ مَن يَشاء، وهٰذا الذليلُ هو الذي يُخاطَبُ ويُقالُ له: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: 14، 15]، وهٰذا غايةُ الذُّلِّ). انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمام المحدِّثُ اللغوي مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد

ابن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (المُذِلُّ في أسماءِ اللَّهِ: هو الذي يُلْحِقُ الذُّلَّ بِمَنْ يَشاءُ مِن عِباده، ويَنفي عنه أنواعَ العِزّ جميعَها.

ومنه الحديث الذي أخرجه مسلم في «صحيحه»: **«يتركون المدينة على خير ما كانت مُذَلَّلَة، لا يَغشاها إلاّ العوافي»**، أي: ثمارُها دانية، سَهْلَةُ المتناوَل مُخَلاَّةً غيرُ مَحْمِيَّةٍ، ولا مَمْنُوعَةٍ على أحسنِ أحوالها، وقيل: أرادَ أن المدينة تكون مُخَلاَّةً خالِيَةً مِنَ السُّكان، لا يغشاها إلاّ الوُحوش.

أقوال المفسّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾، يقولُ تبارك وتعالى: ﴿قُلِ﴾، يا محمدُ، مُعَظِّماً لِرَبِّك وشاكِراً له ومُفَوِّضاً إليه ومتوكِّلاً عليه: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، أي: لك المُلكُ كلُّه ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾، أي: أنتَ المُعطِي وأنتَ المانِعُ، وأنت الذي ما شِئتَ كان وما لم تَشَأْ لم يكن.

وفي هٰذه الآية تنبيهٌ وإرشادٌ إلى شُكرِ نِعْمَةِ الله تعالى على رسولِهِ ﷺ، وهٰذه الأمَّةِ؛ لأن اللَّهَ تعالى حَوَّلَ النُبُوَّةَ من بَنِي إسرائيلَ إلى النبي العَرَبيّ القُرَشِيّ الأُمِّيّ المكّيّ، خاتَم الأنبياءِ والمُرسَلينَ على الإطلاق، ورسولِ اللَّه إلى جميع الثقلين الإنسِ والجنِّ، الذي جمعَ اللَّهُ فيه مَحاسِنَ مَن كان قَبْلَه، وخَصَّهُ بخصائِصَ لم يُعْطِها نَبِيّاً من الأنبياء، ولا رَسولاً مِنَ الرُسُلِ، في العلم بالله وشريعته وَإِطْلَاعِهِ على الغُيوبِ الماضِيَةِ والآتِيَةِ، وكشفُه له عن حقائِق الآخرة، ونَشْرُ أُمَّتِهِ في الآفاق في مَشارِق الأرض ومغارِبها، وإظهار دينه وشرعه على سائرِ الأديان والشرائع، فصلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ، ولهٰذا قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، أي أنت المتصرِّفُ في خلقك، الفَعّالُ لما تُريد.

كما ردَّ تعالى على مَن يحكم عليه في أمره حيث قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31]، قال اللَّهُ ردّاً عليهم: ﴿أَهُمْ

يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32]، أي نحنُ نتصرَّفُ في خلقنا كما نُريدُ، بلا مُمانِعٍ ولا مُدافِعٍ، ولنا الحِكمَةُ البالِغَةُ والحُجَّةُ التامَّةُ في ذلك، وهكذا يُعْطِي النُبُوَّةَ لمن يُريدُ، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]، وقال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 21].

وقد روى الحافظ ابنُ عساكر في تاريخه في ترجمةِ إسحاق بن أحمد، عن المأمون الخليفة أنه رأى في قصرٍ ببلاد الروم مكتوباً بالحِمْيَرِيَّة، فَعُرِّبَ له فإذا هو: (بسم الله، ما اختلف الليلُ والنهار، ولا دارت نجومُ السماء في الفَلَكِ إلّا بِنَقْلِ النعيم، عن مَلِكٍ قد زال سُلْطانُه إلى مَلِك، ومُلْكُ ذِي العَرْشِ دائِمٌ أبداً لَيْسَ بِفانٍ ولا مشترك).

حَظّ المؤمن من هٰذا الاسم

إنّ المؤمن الموقِن بأنَّ اللَّهَ هو المُعِزُّ لأهل طاعَتِه، المُذِلُّ لأهل مَعْصِيَتِهِ، يكونُ عَزِيزاً بربِّه وبدينه، غير مُتَصاغِرٍ في نفسه، ولو تألَّبَتْ عليه قُوَى الشرِّ جميعاً، فلا يتزلزل في دينه، ولا يتطرَّقُ الشَّكُّ إلى عقيدته، بل يُوقِنُ أنه على الهُدَى والحق ويثبت على دينه، وإذا رأى الباطِلَ مِن حولِهِ قد طغى وعمَّ في الأرض، وامتلك القُوَّة، فهو يعلم أنّ هذا اسْتِدْرَاجٌ مِن اللَّهِ لأهل الباطل، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: 196 ـ 198].

58 ــ المُقَدِّمُ

معناه: مأخوذ مِن التقديم، ويقع في الأزمنة والأمكنة والمنازل المعنوية، فما مِن تقديم في الأزمنة، أو في الأمكنة، أو في المنازل المعنوية يجري لأَحَدٍ مِن خلقِ اللَّهِ، إلاّ وهو حاصِلٌ بتقديم اللَّهِ، وأعلى أنواع التقديم: تقديمُ اللَّهِ أولياءَهُ، بتَقْرِيبِهم إليه، وهدايتهم إلى معرفته، وهٰذا الاسم غير مَذكور في القرآن الكريم، ولكنه مُجْمَعٌ عليه، وقد ورد في الحديث الجامع لأسماء الله الحسنى عند الترمذي وابن ماجه في سننهما، والبيهقي في «الدعوات»، عن أبي هريرة ﷺ.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ حُجَّةُ الإسلام، وفيلسوفه الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماءِ اللَّهِ الحسنى»: (المُقدِّمُ: هو الذي يُقرِّبُ، ومَن قرَّبَهُ فقد قَدَّمَهُ، وقد قدَّم أنبياءَهُ وأولياءه بتقريبهم وهِدايتهم، والمَلِكُ إذا قَرَّبَ شخصَيْن مثلاً، ولكن جعل أحدَهُما أقربَ إلى نفسه يُقالُ: قَدَّمَهُ أي جَعَلَهُ قُدَّامَ غيرِه. والقُدَّام تارةً يكون في المكان، وتارَةً يكون في الرُّتْبَةِ، وهو مُضافٌ لا مَحالَةَ إلى مُتَأَخِّرٍ عنه، بالإضافة إليه يتقدَّمُ ما يتقدَّمُ ويتأخَّرُ ما يتأخَّر، ولا بُدَّ فيه مِن مَقْصِدٍ هو الغايَةُ، والمَقْصِدُ هو اللَّهُ تعالى.

والمُقَدَّمُ عند اللَّهِ هو المُقَرَّبُ، فقد قَدَّم الملائكةَ، ثم الأنبياء، ثم الأولياء، ثم العُلماء، واللَّهُ تعالى هو المُقَدِّمُ؛ لأنَّك إن أحلتَ تقديمهم على توفيرهم وكمالهم في الصفات، فَمَنْ هو الذي حملهم على التوفير بالعلم والعبادة بإثارَة دوَاعِيهم؟ فذلك كلُّه من الله تعالى، فهو المُقدِّمُ.

والمُرادُ هو التقديمُ في الرُّتْبَة، وتوجد إشارة إلى أنه لم يتقدَّمْ مَن تَقَدَّمَ بعلمه وعمله، بل بتقديم اللَّهِ إيَّاهُ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: 101]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: 13]) انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمامُ المحدّث اللغوي مجدُ الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (المُقَدِّم في أسماءِ اللَّهِ تعالى هو الذي يُقَدِّمُ الأشياءِ، ويضعُها في مواضعها، فَمَنِ اسْتَحَقَّ التَّقْديمَ قَدَّمَهُ.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أنا الحَاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمِي**»، أي على أَثَرِي). انتهى كلام ابن الأثير.

أقوال المفسّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: 32]، أخرج الإمام أحمد في «مسنده» قالت أمُّ سَلَمَة: يا رسولَ اللَّهِ! تَغْزُو الرجالُ ولا نَغْزُو، ولنا نصفُ المِيراث؟! فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. وأخرج عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية قال: ولا يتمنّى الرجلُ فيقولُ: ليت لَوْ أنَّ لي مالَ فلانٍ وأهْلَهُ، فَنَهَى اللَّهُ عن ذلك ولكن يَسْألُ اللَّهَ مِن فضله.

ثم قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾، أي كلٌّ له جزاءٌ على عمله بِحَسَبِهِ، إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وإنْ شَرّاً فَشَرٌّ؛ هٰذا قولُ ابن جرير الطبَريّ، وقيلَ: المُراد بذلك في الميراث، أيُ كُلٌّ يَرِثُ بِحَسَبِهِ، رواه الترمذي، عن ابن عباس.

ثم أرشدهم إلى ما يُصْلِحُهُم فقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾ لا تتمنَّوْا ما فَضَّلنا به بَعْضَكُم على بعض، فإنَّ هٰذا أمْرٌ مَحْتُومٌ، أي إنَّ التَمَنّي لا يُجْدِي شيئاً، ولكن سَلُوني مِن فَضْلي أُعْطِكم، فإني كريمٌ وَهَّابٌ، وقد أخرج الترمذي في «جامعه» بسنده إلى ابن مسعود قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«سَلُوا اللَّهَ مِن فضلِهِ، فإنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أن يُسْأَلَ، وإنَّ أفضلَ العبادَة انتظارُ الفَرَجِ»**.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي عليمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الدنيا فيعْطيهِ منها، وبمن يَسْتَحِقُّ الفَقْرَ فيُفْقِرُه، وعليمٌ بَمَنْ يَسْتَحِقّ الآخرةَ فيُقَيِّضُهُ لأعمالها، وبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الخِذْلان فَيَخْذُلُه، عن تعاطِي الخير وأسبابه، ولهٰذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

أثر هٰذا الاسم على العبدِ

إنَّ منْ عَلِمَ أنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ عِبادَه المُؤمنين الطائعين، على غيرهم، وَجَب أن يكون مِيزانُه في تقديم الناسِ وتأخيرِهم تفاضُلُهم في الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وهٰذا كان شأنُ الرسولِ ﷺ، إذ كان يُقَدِّمُ مِن أصْحابِهِ الصالحين

والعلماء والمُتَفَقِّهين والأتقياء، فَيَسْتَعْمِلُهم ويَسْتَوْزِرُهم ويُؤَمِّرُهُم على الناسِ، وبذلك تَصْلُح شؤون الرَّعِيَّة؛ لأَنَّ الناسَ على دينِ مُلوكهم.

أما حالُ المسلمين اليوم، فإنه على العكس مِن ذلك تماماً، فقد تغيَّرت عندهم المَوازِينُ في تقديم الناس وتفاضلهم، فقدَّمُوا أصحابَ المال والسُلطة، ولو كانوا غيرَ مؤمنين باللَّهِ، واحْتَرَمُوا الكافِرَ والعَدُوَّ، واحْتَقَرُوا المُؤْمِنَ، وَرَمَوْهُ بالتَخَلُّف والرَّجْعِيَّةِ والسذاجة، وتارةً بالعُنفِ والإرهاب، فصارُوا أعزّةً على المؤمنين أذِلَّةً على الكافرين، من أجل ذلك سادت مجتمعاتهم الفوضى والظلم، وأصبح الشريفُ فيهم وَضيعاً، والوَضيعُ شريفاً، كما أخبر بذلك الرسولُ ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، ولن يستعيدوا عِزّهم وقُوَّتَهم، ومَجْدَهُم إلا بالعودة إلى رَبِّهم، واتباع تعاليم دينهم.

59 ــ المُؤخّر

معناه

مأخوذٌ مِن التأخير، ويقع في الأزمنة والأمكنة والمَنازل المعْنَوِيَّة فما مِن تأخير في الأزمنة، أو في الأمكنة، أو في المنازل المعنوية، يجري لأحد من خَلْقِ اللَّهِ إلّا وهو حاصِلٌ بتأخير الله، وأخَسُّ أنواعِ التأخيرِ: تأخيرُ اللَّهِ أعداءَه، بإبعادهم عن رحمته، وضَرْبِ الحجاب بينه وبينهم.

وهٰذا الاسم غير مذكور في القرآن الكريم، ولكنّه مُجْمَعٌ عليه، وقد ورد في حديث أبي هريرة ﷺ الجامعِ لأسماء الله الحسنى، الذي أخرجه الترمذي، وابن ماجه في سننهما والبيهقي في كتابه «الدعوات».

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام الغزالي في «المَقصدِ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (المُؤخِّرُ هو الذي يُبْعِدُ، ومَن أبْعَدَهُ فقد أخّرهُ، وقد أخّر أعداءَه بإبعادِهم وضَرْبِ الحجابِ بينه وبينهم. وكل متأخّر فهو مُؤَخَّرٌ بالإضافَةِ إلى ما قبله، واللَّهُ تعالى هو المؤخِّرُ؛ لأنك إن أحلت تأخُّرَهُم على تقصيرهم، فمن هو الذي حملهم على

التقصير بِصَرْفِ دواعيهم إلى ضِدِّ الصِرَاطِ المستقيم؟ فذلك كُلُه مِنَ اللَّهِ تعالى، فهو المُؤَخِّر.

والمُراد هو التأخيرُ في الرُتْبَةِ، وتوجد إشارةٌ إلى أنه لم يتأخر من تأخّرَ بعلمِهِ وعَمَلِهِ، بل بتأخير اللَّه إيّاه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: 13])، انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام المحدّث اللغوي مجدُ الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (المُؤَخِّر في أسماء الله تعالى: هو الذي يؤخِّرُ الأشياءَ، فَيَضَعُها في مَواضِعِها، وهو ضِدُّ المُقَدِّمُ.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب مِنَ «سننه» بسنده إلى أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِّي ﷺ، قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ، يقولُ بِأَخَرَة إذا أرادَ أن يَقومَ مِن المَجْلِس: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِكِ، أشهدُ أن لا إله إلاّ أنتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأتوبُ إليكَ**»، فقال رجلٌ: إنَّكَ لتقولُ قولاً ما كُنتَ تَقُولُه فيما مَضَى يا رسولَ اللَّه! فقالَ: «**كَفَّارَةٌ لما يكونُ في المجلس**»، أي في آخِرِ جلوسه، ويجوزُ أنْ يكون في آخِرِ عمره، وأَخَرَة: بفتح الهَمْزَةِ والخاء المعجمة.

أقوال المفسّرين

يقول اللَّهُ تعالى في مُحكم كتابه المُبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: 9 ـ 11]، يقولُ تعالى آمِراً لِعَبادِهِ المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تَشْغَلَهُم الأَمْوالُ والأولادُ عن ذلك، ومُخبِراً لهم بأنه من الْتَهَى بِمَتَاعِ الحياةِ الدنيا وزينتها، عما خُلِقَ له مِن طاعة ربّه وذكره فإنه من الخاسِرِينَ الذي يَخسَرُون أَنفُسَهُم وأهْليهم يومَ القِيامَةِ.

ثم حَثَّهُمْ على الإنفاق في طاعتِهِ فقال: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ﴿١٠﴾﴾، فكُلُّ مُفَرِّطٍ يَنْدَمُ عند الاحتضار، ويَسْأَلُ طولَ المُدَّةِ، ولو شيئاً يَسِيراً، ليَسْتَعْتِبَ ويَسْتَدْرِكَ ما فاته، وهيهات، كان ما كان وأتى ما هو آتٍ وكُلٌّ بِحَسْبِ تفريطه، أمّا الكفّارُ فكما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: 44]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99، 100]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١١﴾﴾.

أثر هذا الاسم على العبد

إنّ مَنْ عَلِمَ أن اللَّهَ هو المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ، يُقَدِّمُ عبادَهُ المُؤْمِنين وأولياءَه وأهل طاعته بما يُوَفِّقُهم إليه من طاعته ويفتح عليهم من بركاته وعلومه وفضله، وبما يُوَليهم من مراكز وولايات وإيماءات، ويؤخّرُ الكَفَرَةَ وأهلَ المعاصي بما يحْجُبه عنهم مِن توفيق لطاعته وأنوار جلال قدسه، إنّ مَنْ عَلِمَ ذلك يُصْبِحُ مُقدِّماً لأهل الإيمان، مؤخِّراً لأهل العصيان، فيوالي اللَّهَ ورسولَه والمُؤْمِنين، ويعادِي مَن عادَى اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّ في اللَّهِ ويكرَهُ في اللَّهِ، وتُصْبِحُ مشاعره وعواطِفُه وأفكارُه كلُّها وِفقَ مُرادِ اللَّهِ ورِضاهُ، ولا يُقيم علاقات وُدّ ومَحَبَّةٍ لأعداء اللَّهِ، ولا يَنْتَمِي لأية جهة، أو حزب، أو جمعيّة، أو مَحفَلٍ، أو مركز، أو منظَّمَةٍ غير إسلامية، تُدارُ مِن أعداء المسلمين، وتعمل على حربهم، وعلى العكس من دلك، فهو ينتمي لدين الله، وتربطه بأهل دينه رابطة الإيمان، وأخوَّة الإسلام، ويحبُّ أحبابَ الله، ويكره أعداءَ الله الكفرة، ويَتَواصَى مع أهل دينهِ على الحق، ويَصْبِرُ على أذى أعداء الله، كما أمره الله ﴿وَٱلْعَصْرِ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴿٣﴾﴾ [العصر: 1 ـ 3].

60 ــ الجامِعُ

معناه

مأخوذٌ من الجَمْعِ، ويَقَعُ الجَمْعُ في الأجزاءِ المُتَباعِدَةِ، والأُمورِ المُتَفَرِّقَةِ،

وكثيرٌ مِن صُوَرِ الخَلْقِ في الأكوانِ إنّما يَتِمُّ بِجَمْعِ المُتَفَرِّقَاتِ جمعاً حَقيقيّاً، وهو بِفِعْلِ اللَّهِ وقضائِهِ وقَدَرِهِ، فاللَّهُ هُوَ الجامِعُ، ومِن ذلك جَمْعُ الناسِ ليوم القِيامَةِ، وجَمْعُ الخيْرَاتِ ومنحها لمن شاءَ مِن عِبادِه، قال اللَّهُ تعالى حِكايَةً لِقَوْلِ الراسخينَ في العِلْم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: 9].

أقوالُ العُلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المَقصِد الأسنى في شرحِ أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى»: (الجامِعُ هو المُؤلف بين المتماثِلات والمتباينات والمتضادّات. أما جَمْعُ اللَّهِ تعالى بين المتماثِلات، فكَجَمْعِهِ الخلقَ الكثيرَ مِن الإنسِ على ظهْرِ الأرضِ، وحَشْرِهِ إيّاهُم في صَعِيدٍ يومَ القيامَةِ.

وأما المتباينات فَكجَمْعِهِ بين السمٰوات والكواكب، والهواء، والأرض، والبحار، والحيوانات، والنبات، والمعادِن المختلفة، كلُّ ذلك متباينُ الأشكالِ والألوانِ والطُعُومِ والأَوْصَافِ، وقد جمعها اللَّهُ في الأرضِ، وجمع بينَ الكلّ في العالَم، وكذلك جمعه بين العَظْم، والعَصَب، والعِرْقِ، والعَضَلَةِ، والمخّ، والبَشَرَةِ، والدَمِ، وسائر الأخلاط في بَدَنِ الحَيَوانِ.

وأما المتضادات فكَجَمْعِهِ بين الحَرارَةِ والبُرودَةِ، والرُطوبَةِ واليُبُوسَةِ في أَمْزِجَةِ الحيواناتِ، وهي متنافِراتٌ مُتعادِيات، وذلك أَبْلَغُ وُجُوهِ الجمْعِ.

وتَفْصِيلُ جَمْعِهِ لا يَعْرِفُه إلّا مَنْ يَعْرِفُ تفصيلَ مَجْمُوعَاتِهِ في الدنيا والآخِرَةِ، وكلُّ ذلك ممّا يَطُولُ شَرْحُه.

الجامع من العِبَادِ: مَن جمع بين الآدابِ الظاهِرَةِ في الجوارِح، وبين الحقائقِ الباطِنَةِ في القُلوبِ، فَمَن كَمُلَتْ مَعْرِفَتُهُ، وحَسُنَتْ سِيرَتُه، فهو الجامِعُ، ولذلك قيل: الكامِلُ مَن لا يُطْفِيء نورَ مَعْرِفَتِهِ نورُ وَرَعِهِ، وكأنَّ الجمعَ بين البَصَرِ والبَصيرَةِ مُتَعَذِّرٌ، ولذلك نرى صَبُوراً على الزُهْدِ والوَرَعِ لا بصيرَة له، ونرى ذا بَصِيرَةٍ لا صَبْرَ له، والجامِعُ مَنْ جمع بين الصَبْرِ والبَصِيرَةِ). انتهى كلامُ الغزالي.

ويقول الإمام مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري

الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (الجامع في أسماء الله تعالى هو الذي يجمَعُ الخلائِقَ ليوم الحساب. وقيلَ: هو المؤلِّفُ بين المُتماثِلاتِ، والمتباينات والمتضادّات في الوجود.

ومنه الحديث الشريف المتّفق عليه الذي أخرجه الإمام البخاري في كتاب التعبير من «صحيحه»، والإمام مسلم في كتاب المساجد من «صحيحه»، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «**فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ طَهوراً ومَسْجِداً، وأُرْسِلتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بي النَبِيُّون**»، ومعنى قوله: «**أُعْطيت جوامِعَ الكَلِم**» يعني: القرآنَ، جَمَعَ اللَّهُ بِلُطْفِهِ في الأَلْفَاظِ اليَسِيرَةِ منه معاني كثيرة، واحِدها: جامِعَة، أي كَلِمَةٌ جامعة.

وقال النوويُّ: وكلامُهُ ﷺ كان بالجوامِعِ، قليلَ اللفظِ كثيرَ المعاني.

وأخرج أبو داود في كتاب الصلاة من «سننه» في أبواب الوتر، باب الدعاء، وأحمد في «مسنده» 6/ 148، عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: «كان ﷺ يُعْجِبُه الجوامِعُ مِن الدُّعاءِ، ويَدَعُ ما بين ذلك»، قال ابن الأثير: هي التي تَجْمَعُ الأغراضَ الصالِحَة، والمقاصِدَ الصحيحَة، أو تَجْمَعُ الثناءَ على الله تعالى وآدابَ المسألة.

وأَخْرَجَ أبو داود في كتاب الصلاة مِن «سننه»، باب تَحزيب القرآن، والإمام أحمد في مسنده 2/ 169، عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ، فقال: أقْرِئْني يا رسولَ اللَّهِ! فقال: اقرأْ ثلاثاً من ذوات ﴿الٓرۚ﴾ فقال: كَبُرَت سِنّي واشْتَدَّ قَلبي، وغَلُظَ لِساني، قال: فاقرأ ثلاثاً من ذوات ﴿حمٓ﴾ فقال مثل مقالته فقال: اقرأ ثلاثاً مِن المُسَبِّحات، فقال مِثلَ مقالته، فقال الرجلُ: يا رسولَ اللَّهِ! اقْرِئْني سُورَةً جامِعَةً، فأقْرأَهُ النبيُّ ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: 1]، حتى فرغ منها، فقالَ الرجُلُ: والذي بعثك بالحَقِّ لا أزيدُ عليها أبداً، ثم أدْبَرَ الرجُلُ فقال النبيُّ ﷺ: «**أَفْلَحَ الرُوَيْجِلُ، مَرَّتين**»، أي إن سورة الزلزلة تجمع أسباب الخير لقوله فيها: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

وأخرج الإمام الترمذي في أبواب العلم من «جامعه» باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، بسنده إلى يزيد بن سلمة ﷺ قال: يا رسولَ اللَّه! إني قد سمعتُ منك حديثاً كثيراً أخافُ أن يُنسيني أوَّله آخِرُه، فحدّثْني بِكَلِمَةٍ تكون جِماعاً، قال: «**اتَّقِ الله فيما تَعْلَمُ**»، الجِماعُ ما جمع عدداً، أي كلمةٌ تَجْمَعُ كلمات). انتهى كلام ابن الأثير.

أقوال المفسّرين

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: 8، 9]، أي يقولون في دعائهم: إنّك يا رب سَتَجْمَعُ بين خلقك يوم مَعادِهِمْ، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزي كُلاً بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشرّ.

أثره على العبد: إن مَن عَلِمَ أن اللَّهَ جامِعُ الناسِ لِيَوْم لا ريبْ فيه ليُحاسِبَ الظالِمَ بِظُلْمِهِ، ويأخذَ للمظلوم حَقَّه مِن الظالم، يَرْتَدِعُ عن الظلم في الدنيا، ويخشى ذلك اليوم، وأيضاً من علم أن اللّهَ تعالى جامعٌ يجمع في الدنيا بين عِباده المؤمنين، الذين جمعهم الإيمان ومَحَبَّة الله وتقواه آخَى إخوانه المؤمنين، واجتمع معهم على محبة الله وطاعته، وعلى ذكره، فهو حريص على الاجتماع بهم؛ لأنهم سببُ قُوّتِهِ في المجتمع: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 3]، وترك صحبة أعداء الله الأشرار.

61 ــ المانِع

معناه

مأخوذ من المَنْع، وهو حَجْزُ الأشياء، وكثيرٌ مِن صُوَر حِفْظِ المخلوقات في نظامِها وأوضاعها من الخَلَلِ أوِ الفَسادِ، إنّما يَتِمُّ بِمَنْع المُهْلِكَاتِ عَنها، وبذلكَ تَتِمُّ صِيانَتُها ويَسْتَمِرّ بَقاؤها، ولَولا مَنْعُ اللَّهِ المُهْلِكاتِ عنها لفَسَدَت واخْتَلَّ نِظامُها، وهٰذا ما يُسَمَّى: «بِدَفْعِ البَلاءِ» وما ذلك إلّا بِخَلْقِ اللَّهِ تعالى.

كما أنّ مِن صُوَرِ المَنْعِ: الحِرْمانُ مِنْ بَعْضِ الخَيْرَاتِ، وإنما يكونِ ذلك بِخَلْقِ اللَّهِ وقضائه وعَدْلِهِ، ومنه دُعَاءُ الرسولِ ﷺ: «**اللهمَّ لا مانِعَ لِما أَعْطَيتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ**» متفقٌ عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة من «صحيحه»، ومسلم في كتاب المساجد من «صحيحه»، عن المغيرة بن شعبة ﷺ).

ولم يردْ هٰذا الاسم في القرآن الكريم ولكنه مُجْمَعٌ عليه، وقد جاء في الحديث الشريف الجامع لأسماء اللَّهِ الحُسْنَى الذي رواه أبو هريرة ﷺ، وأخرجه الأئمةُ: الترمذي وابن ماجه في «سننهما»، والبيهقيُّ في «الدعوات». وفي حديث الإمام مسلم في «صحيحه»، أنه كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الصلاة: «**لا مانِعَ لما أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لما منعت، ولا يَنْفَعُ ذا الجَدّ منك الجَدّ**».

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حجة الإسلام، وفيلسوفه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (المانِع هو الذي يَرُدُّ أسبابَ الهلاكِ والنُّقْصَان في الأَدْيانِ والأَبْدانِ بما يخْلُقُه من الأَسْبَابِ المُعَدَّةِ للحفظ، وكلُّ حِفْظٍ فَمِن ضَرُورَتِهِ مَنْعٌ ودَفْعٌ، فَمَنْ فَهِمَ معنى الحفيظ، فَهِمَ معنى المانِع، فالمَنْعُ إضافَةٌ إلى السَّبَبِ المُهْلِك، والحِفظُ إضافَةٌ إلى المَحْرُوسِ عنِ الهلاكِ، وهو مَقْصودُ المنع وغايَتُهُ.

وإذا كان المَنْعُ يُرادُ لِلحِفْظِ، والحفظُ لا يُرادُ لِلمَنْعِ، فكلُّ حافظٍ دافِعٌ مانِعٌ، وليس كلُّ مانعٍ حافِظاً، إلا إذا كان مانعاً مُطْلقاً لجميع أسبابِ الهَلاكِ والنَّقْصِ، حتى يحصلَ الحِفظُ مِن ضرورته.

ويقول الإمام المُحدِّث اللغويُّ مَجْدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله تعالى: المانِعُ هو الذي يمنع عن أهل طاعَتِهِ ـ أي يدافِع عنهم ـ ويَحُوطُهم ويَنْصُرُهُم. وقيلَ: يمنع من يُريدُ مِن خلقه ما يُريدُ، ويُعطيه ما يُريدُ.

وفيه الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه»، ومسلم في كتاب الأقضية من «صحيحه»، عن المغيرة بن شعبة ﷺ:

«أنه كان ينهى عن عقوق الأمهات ومنع وهات»، أي عن منع ما عليه إعطاؤه، وطلب ما ليس له.

وفيه الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن من «صحيحه» بسنده إلى أم المؤمنين حفصة ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**سَيَعُوذُ بهٰذا البَيْتِ قَوْمٌ ليسَت لَهُمْ مَنَعَةٌ، ولا عَدَدٌ ولا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إليهم جيشٌ، حتى إذا كانوا ببيداءَ مِن الأرض خُسِفَ بهم**»، ومعنى «**مَنَعَةٌ**»: أي قوّة تمنع مَن يُريدُهم بسوء، وقيل: هي «**مَنَعَةٌ**» ـ بفتح النون ـ جَمْعُ مانِع، مِثْلُ: كافِرٍ وكَفَرة، وهذا الحديث بشأن المَهْدِيّ الذي يَخْرُجُ في آخِرِ الزمانِ، ويَعوذُ بالبيت الحرام هو ومَن آمَن معه ليس لهم قوة تمنعهم ولا عدد ولا عُدَّة، فَيُبْعَثُ إليهم جَيْشٌ مِن الشام للقضاء عليهم، فإذا وصل هٰذا الجيش إلى البيداء التي على طريق الخارج من المدينة إلى مكة خُسِفَ به، ويَنصُرُ اللَّهُ عِبادَه المؤمنين.

أقوال المفسّرين

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: 67]، يقولُ اللَّهُ تعالى مُخاطِباً عبدَه ورسولَه محمداً ﷺ، باسم الرسالة وآمِراً بإبلاغ جميع ما أرْسَلَهُ اللَّهُ به، وقدِ امْتَثَلَ عليه أفضلُ الصلاة والسلام ذلك، وقام به أتَمَّ قِيام، أخرج البخاريّ، ومسلم في «**صحيحيهما**» بسندهما إلى عائشة ﵂ قالت: «مَن حدَّثكَ أنّ محمداً كَتَمَ شيئاً مِمّا أنزلَ اللَّهُ عليه فقد كذب».

وفي الصحيحين أيضاً عنها أنها قالت: لو كانَ محمدٌ ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هٰذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 37]. وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره»، عن هارون بن عنترة، قال: كنتُ عند ابن عباس فجاءَ رجُلٌ فقالَ له: إنَّ أُناساً يأتوننا فيُخْبِرُونا: أنَّ عندكم شيئاً لم يُبْدِهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ للناس، فقال ابنُ عباس: ألم تعلم أن اللَّهَ تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ واللَّهِ ما ورَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ سَوْداءَ في بَيْضاءَ.

وأخرج البخاري في «صحيحه» من رواية أبي جُحَيْفَة وهب بن عبد الله السَّوَائِيّ قال: قلتُ: لعليّ بن أبي طالب ﷺ: هل عندكم شيء مِن الوحي ممّا ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرأ النَسْمَةَ، إلّا فَهْماً يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلاً في القرآن، وما في هٰذه الصحيفة. قلتُ: وما في هٰذه الصحيفة؟ قال: العَقْلُ، وفِكاكُ الأَسِير، وأن لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بكافِرٍ.

وقال البخاري ﷺ: قال الزهريُّ: (مِنَ اللَّهِ الرسالة، وعلى الرسولِ البلاغُ، وعلينا التسليمُ)، وقد شَهِدَتْ له أُمَّتُه بإبلاغ الرسالة وأداءِ الأمانة واسْتَنْطَقَهُم بذلك في أعظم اجتماع في خُطبَتِهِ يوم حَجَّة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحوٌ مِن أربعين ألفاً، كما ثبتَ في «صحيح مسلم»، عن جابرِ بن عبد الله ﷺ، أن رسولَ الله ﷺ قال في خُطبَتِهِ يومَئِذٍ: «**أيها الناسُ! إنكم مَسْؤولونَ عَنّي فما أنتم قائلون؟ قالوا: نَشهَدُ أنك قد بلَّغتَ وأدَّيْتَ ونَصَحْتَ**»، فَجَعَلَ يرفعُ أُصْبُعَه إلى السماءِ ويَنكِسُها إليهم ويقول: «**اللهمَّ هل بلَّغْتُ؟**»، وفي رواية الإمام أحمد، عن ابن عباس زيادة: ثم قال: «**أَلا فَلْيُبَلِّغ الشاهدُ الغائِبَ، لا ترجعوا بعدي كفّاراً يَضرِبُ بَعْضُكم رِقابَ بَعضٍ**».

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، أي بلّغ أنت رسالتي، وأنا حافِظُكَ وناصِرُكَ، ومؤيّدُك على أعدائِك ومُظفِرُكَ بهم، فلا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ فَلَنْ يَصِلَ أحدٌ منهم إليك بِسُوءٍ يُؤْذِيكَ.

ومِن عصمة اللَّهِ لرسوله، حِفْظُه له من أهلِ مكة وصناديدها وحُسّادِها ومُعانديها ومُتْرَفيها، مع شِدَّة العَداوَةِ والبغضاء، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه اللَّهُ من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمَتِه العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمّه أبي طالب، إذْ كان رئيساً مُطاعاً كبيراً في قُرَيْش، وخلقَ اللَّهُ في قلبه مَحَبَّةً طبيعية لرسولِ اللَّهِ ﷺ لا شرعيّة، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كُفّارُها وكبارُها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً، ثم قيّضَ اللَّه له الأنصارَ مِن أهل المدينة، فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحوّل إلى مدينتهم، فلما صار إليها منعوه.

62 ــ النافع

إن مِن صُوَر المتناقضات التي تجري في الخلق، صُوَر المَنْفَعَة والمَضَرَّة التي لا تدخلُ في مجال تكليف المكلّفين: كالصحّة والمَرض، والعطاء والحرمان، والنقص والزيادة في الأموال والأنفس والثمرات، فما يَجْري شيءٌ مِن ذلك وأمثاله إلّا بفعلِ اللَّهِ وقضائه وقَدَرِهِ، فمنه، ما يحصُل لخلائقه من منفعة، ومنه ما يصيبهم مِنْ مَضَرَّة، أمَّا المَضَرَّة فَبِعَدْلٍ منه، وأما المَنْفَعَةُ فَبِفَضْلٍ منه.

معناه

وفي معنى أنه النافع قال الله تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: 17]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[الرعد: 16]، أي مع أنّ اللَّهَ هو الذي يملكُ النَفْعَ والضُرَّ لجميع مَن خَلق.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمامُ أبو حامد الغزالي في كتابه «المَقصدِ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (النافع هو الذي يصدُر منه الخير والنفعُ، وكل ذلك مَنْسُوبٌ إلى الله تعالى إما بواسِطة الملائكة، والإنس والجمادات، أو بغير واسطة، فلا تَظُنَّنَّ أن الطعامَ يُشْبعُ ويَنْفَعُ بِنَفْسِهِ، أو أنِ المَلِكَ والإنسان، أو شيئاً من المخلوقات من فلك، أو كوكب، أو غيرهما يقدِرُ على خيرٍ أو نَفْع بنفسه، بل كلُّ ذلك أسبابٌ مُسَخَّرةٌ لا يَصْدُرُ عنها إلّا ما سُخّرت له.

وجملة ذلك بالإضافة إلى القدرة الأزلية كالقَلَم بالإضافَة إلى الكاتب في اعتقاد العَامِّيّ، وكما أن السلطانَ إذا وَقَّع في التوقيع بكرامَة، لم يُرَ نفعُ ذلك من القَلم، بل مِنَ الذين القَلَمُ مُسَخَّرٌ لهم، فكذلك سائِر الوسائِط والأسباب.

وإنما قلنا في اعتقاد العامّيّ؛ لأن الجاهلَ هو الذي، يرى القلمَ مُسَخَّرٌ للكاتب، والعارفُ يعلمُ أنه مُسَخَّرٌ في يده لِلَّهِ تعالى، وهو الذي الكاتِبُ مُسَخَّرٌ

له، فإنه مهما خلق الكاتبَ وخَلَقَ لهُ القُدرةَ، وسَلَّطَ عليه الداعِيَةَ الجازِمَةَ التي لا تَرَدُّدَ فيها، صَدَرَت منه حركةُ الأصابع والقَلَم لا مَحالَة شاءَ أم أَبَى، بل لا يمكنه أنْ لا يشاءَ، فإذن الكاتب بقلم الإنسانِ ويدهَ هو اللَّهُ تعالى، فإذا عرفتَ هذا في الحيوان المختار، فهو في الجمادات أظْهَرُ).

ويقول الإمام المحدّث اللغوي مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله تعالى النافعُ هو الذي يُوصِلُ النَفْعَ إلى مَن يَشاءُ مِن خَلْقِهِ، حيث هو خالِقُ النَفْعِ والضُرّ، والخير والشر.

أقوال المفسرين

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: 17، 18].

يقولُ تعالى مُخْبِراً أنه مالِكُ الضُرّ والنَفْع، وأنّه المُتَصَرِّفُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه ولا رادَّ لِقضائِه، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: 2]، وفي الحديث عند الإمام مسلِم في «صحيحه»، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَقولُ: «**لا مانِعَ لما أعْطيتَ، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدّ مِنك الجَدّ**»، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾، أي هو الذي خَضَعَتْ لهُ الرِقابُ وذَلَّت له الجبابِرَةُ، وعَنَتْ له الوُجوهُ وقَهَر كلَّ شيء ودانَت له الخَلائِقُ، وتواضَعَتْ لعَظَمَة جَلاله وكِبْريائه وعَظَمَتِهِ وعُلُوِّه، وقُدْرَتِهِ على الأشياء، واستكانت وتضاءَلَتْ بَيْنَ يديه وتحت قَهْره وحكمه ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: أي في جميع أفعاله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بمواضع الأشياء ومحالّها فلا يُعطي إلّا مَن يَسْتَحِقّ، ولا يمنع إلّا مَن يَسْتحِقّ.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: 16].

يُقَرِّرُ تعالى أنه لا إله إلّا هُوَ؛ لأنهم مُعْتَرِفُونَ بأنه هو الذي خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ وهو ربُّها ومُدَبِّرُها، وهم مع هٰذا قَدْ اتّخذوا مِن دونه أولياءَ يَعْبُدُونَهُم، وأولئك الآلِهَة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأَوْلى نفعاً ولا ضرّاً، أي لا تُحَصِّل لهم مَنْفَعةً ولا تَدْفَعُ عنهم مَضَرَّةً، فهل يَسْتَوِي مَن عَبَدَ هٰذه الآلهة مع اللَّهِ، ومَن عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا شريكَ له، فهو على نورٍ مِن ربِّه، ولهٰذا قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾، أي أَجَعَلَ هٰؤلاء المشركون مع اللَّهِ آلِهَةً، تناظِرُ الرَّبَّ وتماثِلُه في الخلق فَخَلَقُوا كَخَلْقِهِ فتشابَهَ الخَلْقُ عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة مِن مَخلوقٍ غيرِه، أي ليس الأمرُ كذلك، فإنه لا يُشابِهُه شيءٌ ولا يماثِلُهُ، ولا نِدَّ لَهُ ولا عَدْلَ، ولا وَزِيرَ له، ولا وَلَدَ، ولا صاحِبَةَ، تعالَى اللَّهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً، وإنما عَبَدَ هؤلاء المشركون معه آلِهَة هم معترفون أنها مخلوقَةٌ له، عَبيدٌ له، كما كانوا يقولون في تَلْبِيَتِهِم: (لَبَّيْكَ لا شريكَ لك، إلّا شريكاً هو لك، تملكه وما مَلَكَ) وكما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، فأنكر تعالى عليهم ذلك حيثُ اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يَشْفَعُ أحَدٌ عِندَه إلّا بإذنه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: 23]، وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: 26]، وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: 93 ـ 95]، فإذا كان الجميع عبيداً فَلِمَ يَعْبُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بلا دليل ولا بُرهان، بل مُجرَّد الرأي والاختراع والابتداع، ثم قد أرسل رسله مِن أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة مَن سِوَى اللَّهِ فكذّبوهم وخالَفوهم فحَقَّت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

63 ـــ الضارُّ

معناه

مِن صُوَر المتناقضات التي تجري في الخلق، صور المَنْفَعَة والمضرَّة التي

لا تدخل في مَجال تكليف المكلَّفين، كالمَرَض والصحة، والحرمان والعطاء، والنقص والزيادة في الأموال والأنفس والثمرات، فما يجري شيءٌ مِن ذلك، إلا بِفِعْلِ الله وقضائه وقدره، فما يَحْصُل لخلائقه من مَضَرَّة، فهو بعدله سبحانه.

وفي معنى أنه الضارُّ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 17].

أقوال العلماء في تفسيره

قال الإمام الغزالي في «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (الضارُّ هو الذي يصدر منه الشرّ، والضرّ، وكل ذلك منسوبٌ إلى الله تعالى، إما بواسطة الملائكة والإنس والجمادات، أو بغير واسِطة، فلا تَظُنَّ أن السُمَّ يَقْتُلُ ويَضُرُّ بنفسه، أو أن المَلِكَ والإنسانَ والشيطانَ، أو شيئاً مِن مخلوقاتِ الله مِن فلكٍ أو كوكب أو غيرهما، يقدر على شرّ أو ضُرٍّ بنفسه، بل كل ذلك أسبابٌ مُسَخَّرة لا يَصدُرُ عنها إلّا ما سُخِّرَتْ له).

وقال مجد الدين ابن الأثير في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: الضارُّ، هو الذي يَضُرُّ مَن يَشاءُ مِن خلقه، حيث هو خالِقُ الأشياء كلّها خيرِها وشرِّها ونَفْعِها وضَرِّها.

وفيه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (2865)، عن ابن عباس ﷺ: «**لا ضَرَرَ ولا إضْرَارَ**»، الضَرُّ ضِدُّ النَفْع، ضَرَّهُ يَضُرُّه ضَرّاً وضِراراً، وأَضَرَّ به يَضِرُّ إضْراراً، فمعنى قوله: «**لاَ ضَرَرَ**»: أي لا يَضُرُّ الرَّجُلُ أخاه فَيَنْقُصَهُ شيئاً مِن حَقِّه، والإضرارُ إفعال من الضَرّ، أي لا يُجازيه على إضراره بإدخالِ الضررِ عليه.

ومنه الحديث المتفق عليه الذي أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه» الحديث (7437)، ومسلم في كتاب الزهد من «صحيحه» الحديث (7364): «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ والمرأةُ بطاعَةِ اللَّهِ ستِّين سَنَةً ثم يَحْضُرُهُمَا الموتُ فَيُضَارِرانِ في الوَصِيَّة، فتجبُ لهما النارُ**»، المضارَرَةُ في الوَصِيَّة: أن لا تُمضَى، أو يُنْقَصَ بَعْضَها، أو يُحْرَمَ مُسْتَحِقُّها، أو يُوصَى لغَيْرِ أهلها، ونحو ذلك ممّا يُخالِفُ السُنَّة.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام مسلمٌ في «صحيحه»، عن أبي هريرة ﷺ: «**هل تُضارُّون في رؤية الشَّمْسِ في الظهيرة، ليست في سَحَابَة؟ هل تُضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة، فوالذي نفسي بيده لا تضارُّونَ في رؤية ربّكم ﷻ، إلاّ كما تُضارُّون في رؤيتهما...**»، يُرْوَى: «**تُضارّون**» بالتشديد والتخفيف، فالتشديد بمعنى: لا تتخالَفُون ولا تتجادَلون في صِحَّةِ النَظَرِ إليه، لِوُضُوحِهِ وظهوره، يُقالُ: ضارَّهُ يَضُرُّهُ مثل: ضَرَّهُ يَضُرُّه. قال الجَوْهَرِيُّ في «الصَحِاح»: (يقال: أَضَرَّني فلانٌ إذا دَنا مِنّي دُنُوّاً شديداً)، فأراد بالمُضارَّة في الحديث الاجتماعَ، والازدحامَ عند النظر إليه، وأما التخفيف فهو من الضَيْرِ، لُغَةٌ في الضُرِّ.

أقوال المفسّرين:

يقول الله تعالى في مُحكم كتابه المُبين: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: 76]، يقولُ تعالى مُنْكِراً على مَن عَبَدَ غَيْرَهُ من الأصنام، والأَنْدَادِ والأَوْثانِ، ومُبَيِّناً له أنّها لا تَسْتَحِقُّ شيئاً مِن الإلٰهيَّة، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي يا محمد لِهٰؤلاء العابدينَ غَيْرَ اللَّهِ مِن سائِرِ فِرَقِ بَنِي آدَمَ، ودَخَلَ في ذلك النَّصارَى وغيرُهُمْ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾، أي لا يَقدِرُ على دَفْعِ ضُرٍّ عنكم، ولا إيصالِ نَفْعٍ إليكم: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أي السَمِيعُ لأقوال عِباده، العَليمُ بكل شيءٍ، فَلِمَ عَدَلْتُمْ عنه إلى عِبادَة جَمادٍ لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يَعْلم شيئاً، ولا يَمْلِكُ ضُرّاً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه.

ويقولُ تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: 22، 23]، يقول تعالى مُخْبِراً عن قرية أرسلَ اللّٰهُ إليها ثلاثةً من الرسُلِ، فكذَّبَهُم أهلُ القرية، فجاءَهم رَجُلٌ مِن أقصى المدينة كان يتعبَّدُ في غارٍ لِيَنْصُرَهُم من قومه، وَلِيحُضَّ قومه على اتّباع الرُسُلِ الذينَ أتوهم، فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، أي وما يَمْنَعُنِي مِن إخلاصِ العبادَةِ للذي خَلَقَنِي وحده لا شريك له ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي يَوْمَ المَعَادِ فيُجازيكم على أعمالِكم إن خيْراً فَخَيْرٌ وإنْ شَرّاً

فَشَرٌّ ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ وتَقْريعٍ ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾، أي هذه الآلِهَةُ التي تَعْبُدونها مِن دونه لا يَمْلِكُونَ مِن الأمْرِ شيئاً، فإنَّ اللَّهَ تعالى لو أرادَنِي بِسُوءٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: 107]، وهٰذه الأصنامُ لا تملك دَفْعَ ذلك، ولا مَنْعَهُ ولا يُنقِذُونَنِي مِمّا أنا فيه.

أثر هٰذه الأسماء على العبد

إن مَن يلاحظ باستمرار، ملاحَظةَ تَحَقُّقٍ وتَبَصُّرٍ، ما تدلُّ عليه أسماءُ اللَّه: (الخافِضُ الرافِعُ، المُعِزُّ المُذِلُّ، المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ، الجامِعُ المانِعُ، النافِعُ الضارُّ) ويلاحِظُ مع ذلك قُدرَةَ اللَّهِ القادِرِ، وحكمَتَهُ العالِيَةَ، فإنه لا بُدَّ أنْ يَقِفَ في مقام العُبودِيَّة التامَّةِ لِلَّهِ تعالى، ويَخْشَعَ أمام قَهْرِ اللَّهِ: ﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18]، ويَلْتَمِسُ منه جَلْبَ كلِّ خيرٍ، ودَفْعَ كلِّ ضُرٍّ، ويرْضى بقضائه وقدره. ويَعْلَمَ أنَّه الفَعّالُ الحقيقي في كلِّ أمْرٍ يحْدُثُ، مِن رَفْعٍ وخَفْضٍ، وعِزٍّ وذُلٍّ، وتَقْدِيمٍ وتأخيرٍ، وجَمْعٍ ومَنْعٍ، ونَفْعٍ وضُرٍّ، وأنَّ جميعَ الأفعال التي تباشِرُها المخلوقاتُ، وينتجُ عنها الآثارُ، إنّما هي وسائلُ وأسبابٌ صُوريَّةٌ، لا تأثير لها في الحَقيقَةِ، فكم مِن سَبَبٍ صُورِيٍّ بلا أثر، وكم مِن أثَرٍ بلا سبب من الأسبابِ الصورية؛ لأن مِن فوق كلِّ ذلك الربُّ القادِرُ القاهر.

وننتقل بعد هٰذا إلى الصنف الثامن من أسماء الله الحسنى التي تعود إلى صفات الحمد والتمجيد.